

عنوان البرنامج: شرح «موجز البلاغة» للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
الوحدة الثانية: في شرح «مقدمة الكتاب»
الدرس الأول: في قول المؤلف «أما بعد» وتفصيل الكلام فيها
اسم المحاضر: الدكتور محمد الحافظ الروسي

في قول المؤلف «أما بعد» وتفصيل الكلام فيها

قال المؤلف . رحمه الله تعالى .: «بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد، حمدا لله الذي أنطق البلغاء، وفضل النبغاء، وميزهم عن يسر حسوا في ارتغاء. والصلاة والسلام على المرسل بالحنيفية لا أمت فيها ولا شعاء، وكل من صغا إلى دعوته أفضل صعاء».

قوله: **أما بعد**، معناه: أما بعد الكلام المتقدم، وهو البسملة والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم. فحذف ما كانت بعد مضافة إليه، فضمها ولو ترك الذي هي إليه مضافة، لفتحها ولم يضمها، فيقول حينئذ: أما بعد البسملة والصلاة على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه. إذ لا يجوز ضمها في هذا الكلام، فإذا أفردت ضمت.

وفيهما أربع لغات: أولها التي ذكرناها، وهو الوجه الصحيح المختار. وثانيها: قولهم: أما بعد. أي بفتح الدال بناء على فتحها في الإضافة. وثالثها: قولهم: أما بعداً. ورابعها: قولهم: أما بعد. بالضم والتنوين، وهو وجه شاذ. ومنه قول الشاعر:

ونحن قتلنا الأزْدَ أزدَ شُوءَةٍ ***** فما شربوا بعدُ على لذةِ خمرا.

وروي هذا البيت أيضاً: فما شربوا بعداً. وهو من الشواهد النحوية المعروفة.

ومن إعجاب الناس بهذه الكلمة اجتهدهم في نسبة أوليتها إلى قُوس بن ساعدة الإيادي مرة، وإلى داود عليه السلام مرة أخرى، وإلى كعب بن لؤي مرة ثالثة، وإلى يعقوب . عليه السلام . مرة رابعة، وإلى يعرب بن قحطان مرة خامسة، وإلى سحبان بن وائل مرة سادسة. وهذا أمر لا يمكن تحقيقه،

وإن زعمت طائفة من أهل العلم أن قوله تعالى عن داود . عليه السلام . : «وآتيناہ الحکمة وفصل الخطاب». معناه أنه يفصل بين الحمد لله وغيره مما يتبدأ به وبين ما يجيء بعده من القول. والحديث المعتمد في أن أول من قال: أما بعد، هو داود . عليه السلام . رواه الطبراني مرفوعا من حديث أبي موسى الأشعري، بسند فيه ضعف، كما قرر ذلك ابن حجر العسقلاني . رحمه الله تعالى . في الفتح.

وخلاصة القول فيها أنها كلمة يتدأ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم، كأنهم يستدعون بها الإصغاء لما يقولونه. وكثيرا ما تأتي عقب الحمد لله، وتسمى حينئذ فصل الخطاب، كأنها فصلت بين الكلام الأول والثاني، وتأتي عقب البسملة، وتأتي ابتداء كأنها عقب الفكر والروية.

وظاهر الأحاديث يشير إلى مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على استعمالها في خطبه، فيكون استعمالها من باب التأسى والاتباع، على أنها لا تختص بالخطب، بل تقال أيضا في صدور الرسائل والمصنفات، كما هو الحال هنا، كما أنه لا اقتصار عليها في إرادة الفصل بين الكلامين، إذ ورد في القرآن الكريم الفصل بين كلامين بلفظ: «هذا وإن»، وذلك قوله تعالى في سورة ص: «هذا وإن للطاغين لشر مآب».